

تفسير ابن كثير

أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ^{قُلْ} هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ^{قُلْ} إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ

يقول تعالى : أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا ؟ لا يستون عند الله ،

كما قال تعالى : (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم

يسجدون) [آل عمران : 113] ، وقال هاهنا : (أم من هو قانت آناء الليل ساجدا

وقائما) أي : في حال سجوده وفي حال قيامه ؛ ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن

القنوت هو الخشوع في الصلاة ، ليس هو القيام وحده كما ، ذهب إليه آخرون . قال الثوري

، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن ابن مسعود أنه قال : القانت المطيع الله

ولرسوله . وقال ابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وابن زيد : (آناء الليل) : جوف الليل .

وقال الثوري ، عن منصور : بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء . وقال الحسن ، وقتادة : (

آناء الليل) : أوله وأوسطه وآخره . وقوله : (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أي : في

حال عبادته خائف راج ، ولا بد في العبادة من هذا وهذا ، وأن يكون الخوف في مدة

الحياة هو الغالب ; ولهذا قال : (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) ، فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه ، كما قال الإمام عبد بن حميد في مسنده . حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا ثابت عن أنس قال : دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رجل وهو في الموت ، فقال له : " كيف تجدك ؟ " قال : أرجو وأخاف . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله - عز وجل - الذي يرجو ، وأمنه الذي يخافه " . ورواه الترمذي والنسائي في " اليوم والليلة " ، وابن ماجه ، من حديث سيار بن حاتم ، عن جعفر بن سليمان ، به . وقال الترمذي : " غريب . وقد رواه بعضهم عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلا " . وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا عمر بن شبة ، عن عبيدة النميري ، حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز ، حدثنا يحيى البكاء ، أنه سمع ابن عمر قرأ : (أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) ; قال ابن عمر : ذاك عثمان بن عفان ، رضي الله عنه . وإنما قال ابن عمر ذلك ; لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته ، حتى إنه ربما قرأ القرآن في

ركعة ، كما روى ذلك أبو عبيدة عنه - رضي الله عنه - وقال الشاعر.ضحوا بأشمط
عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا وقال الإمام أحمد : كتب إلي الربيع بن نافع :
حدثنا الهيثم بن حميد ، عن زيد بن واقد ، عن سليمان بن موسى ، عن كثير بن مرة ،
عن تميم الداري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من قرأ بمائة آية في
ليلة كتب له قنوت ليلة " . وكذا رواه النسائي في " اليوم والليلة " عن إبراهيم بن يعقوب ،
عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع ، كلاهما عن الهيثم بن حميد ، به . وقوله : (قل
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أي : هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل
الله أنداذا ليضل عن سبيله ؟ ! (إنما يتذكر أولو الألباب) أي : إنما يعلم الفرق بين هذا
وهذا من له لب وهو العقل .